ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من كتاب

التاج المكلل

من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول

تأليف

السيد أبي الطيب، صديق بن حسن بن علي بن لطف الله
الحسيني البخاري القنوجي ١٢٤٨-١٣٠٧هـ ١٨٣٢-١٨٩٠م

يحتوي هذا الكتاب على ٥٤٣ ترجمة
من تراجم العلماء الأعلام

بتصحيح وتعليق
عبد الحكيم شرف الدين

دار إقرأ

وساق ما ينشرح له صدور الراغبين فى أخذ مذاهبهم عن الدليل، وأظنه سرت بركة ملازمته لشيخه ابن تيمية فى السرآء والضراء، والقيام معه فى محنه ومواساته بنفسه، وطول تردده إليه، فإنه ما زال ملازماً له من سنة ٧١٢ إلى تاريخ وفاته.

وبالجملة، فهو واحد من قام بنشر السنة، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثة أعظم جنة ـ فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً، وحكى عنه قبل موته بمدة ـ أنه رأى شيخه ابن تيمية فى المنام، وأنه سأله عن منزلته ـ أى منزله ـ؟ فقال: إنه أنزل فوق فلان ـ وسمى بعض الأكابر ـ وقال له: أنت تلحق به، ولكن أنت فى طبقة ابن خزيمة، ومات فى ثالث شهر رجب سنة ٧٥١، انتهى رحمه الله تعالى.

٤٦٦ ـ [شيخ الاسلام] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام «ابن تيمية» الحرانى الدمشقى الحنبلى، تقى الدين أبو العباس.

قال الشوكانى فى كتاب شرح الصدور فى تحريم رفع القبور: هو الامام المحيط بمذاهب سلف هذه الأمة وخلفها، انتهى. وقال ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار: هو العلامة الحافظ المجتهد الحجة المفسر شيخ الاسلام نادرة العصر علم الزهاد.

وقال ابن رجب: هو الامام الفقيه المجتهد المحدث المفسر الأصولى.

وقال الحافظ شمس الدين بن عبد الهادى فى تذكرة الحفاظ: هو شيخنا الامام الربانى، إمام الأئمة ومفتى الأمة بحر العلوم سيد الحفاظ، فارس المعانى والألفاظ، فريد العصر قريع الدهر شيخ الاسلام قدوة الأنام، علامة الزمان ترجمة القرآن، علم الزهاد أوحد العباد، قامع المبتدعين علامة المجتهدين.

وقال فى البدر الطالع: شيخ الاسلام، إمام الأئمة المجتهد المطلق، ولد سنة ٦٦١.

قال ابن حجر فى الدرر: نظر فى الرجال والعلل، وتفقه، وتمهر وتقدم وصنف، ودرس وافتى، وفاق الأقران، وصار عجباً فى سرعة الاستحضار وقوة الجنان، والتوسع

فى المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف، انتهى.

وأقول أنا: لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظن سمح الزمان ما بين عصرى الرجلين بمن يشابههما أو يقاربهما. قال الذهبي ما ملخصه: كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسئلة من مسائل الخلاف استدل ورجح، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه، وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسئلة التى يوردها منه، ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه. كانت السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة، وكان آية من آيات الله فى التفسير والتوسع فيه، قال ولعل فتاواه فى الفنون تبلغ ثلاث مائة مجلد بل أكثر، وكان قوالا بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم،

وكان أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب شعره إلى شحمة أذنيه، كان عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين، جهورى الصوت فصيحاً، سريع القراءة تعتريه حدة؛ لكن يقهرها بالحلم. قال: ولم أر مثله فى ابتهاله واستعانته بالله وكثرة توجهه إليه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له فى مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان بشراً من البشر تعتريه حدة فى البحث؛ وغضب وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة فى النفوس، ولو لا ذلك لكان كلمة اجماع، فإن كبارهم خاضعرن لعلمه، معترفون بأنه بحر لا ساحل له، وكنز ليس له نظير، ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالا، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

قال الذهبي: ولا كان متلاعباً بالدين ولا يتفرد بمسائل بالتشهى، ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس، ويبرهن ويناظر أسوة لمن تقدمه من الأئمة، فله أجر على خطائه وأجران على إصابته، انتهى.

قال الشوكانى: ومع هذا، فقد وقع له مع أهل عصره قلاقل وزلازل، وامتحن مرة بعد أخرى، وحبس حبساً بعد حبس، وجرت فتن عديدة، والناس قسمان فى شانه، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذى يستحقه بل يرميه

بالعظائم، وبعض آخر يبالغ فى وصفه ويجاوز به الحد ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليه، وهذه قاعدة مطردة فى كل عالم يتبحر فى المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون ويقع له معهم محنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق فى الآخرين.

ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره، وهكذا كان حال هذا الإمام، فانه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته، انتهى.

وقد ترجم له جماعة منهم: شهاب بن فضل الله العمرى فى «مسالك الأبصار» وكتب ترجمة حسنة طويلة عريضة كاملة، ومنهم العلامة ابن رجب الحنبلى فى طبقاته واثنى عليه ثناء كثيراً، ومنهم ابن شاكر صاحب «فوات الوفيات»، ومنهم الشيخ مرعى وسماها «الكواكب الدرية» فى منافب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنهم الحافظ ابن عبد الهادى ترجم له فى مجلد مفرد، ومنهم أبو حفص عمر بن على البزار البغدادى كتب كراريس فى ترجمته، ومنهم العلامة صفى الدين أحمد البخارى نزيل نابلس وسماها «القول الجلى»، وقرص عليه العلامة مفتى القدس محمد الباقلانى، ومحدث الشام محمد الكريزى الشافعى، ومنهم العلامة نجم الدين أبو الفضل أنشد قصيدة حسنة طويلة فى مدحه وثنائه.

قال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ فى حقه: شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغنى عن الإطناب فى ذكره والإسهاب فى أمره، عنى بالحديث وسمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبرانى الكبير، وما لا يحصى من الكتب والاجزاء، وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الأجزاء، واقبل على العلوم فى صغره وبرع فى ذلك وقرأ فى العربية، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب، ونظر فى علم الكلام والفلسفة وبرز فى ذلك على أهله ـ ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر فى هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون عشرين

سنة، وافتى من قبل عشرين أيضاً، وأمد بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الادراك والفهم وبطوء النسيان، حتى قال غير واحد أنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه.

وحصر عنده قاضى القضاة بهاء الدين، والشيخ تاج الدين الفزارى، وزين المرجل، وابن المنجا وجماعة، وذكر درساً عظيما فى البسملة - وهو مشهور بين الناس، وعظمه الجماعة والحاضرون واثنوا عليه ثناء كثيراً.

قال الذهبي: وكان الفزارى يبالغ فى تعظيمة، وذكر على الكرسى يوم جمعة شيئاً من الصفات، فقام بعض المخالفين وسعوا فى منعه من الجلوس فلم يمكنهم ذلك، وقال قاضى القضاة شهاب الدين الخوى: أنا على اعتقاد الشيخ تقى الدين فعوتب فى ذلك، فقال لأن ذهنه صحيح وموداه كثيرة فهو لا يقول إلا الصحيح. وقال الشيخ شرف الدين المقدسى: أنا أرجو بركته ودعاءه وهو صاحبي وأخى، ذكر ذلك البرزالى فى تاريخه، ولم يزل فى علو وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره، قال الذهبي: شيخنا وشيخ الاسلام فريد الزمان علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً آلهياً وكرماً ونصحاً للامة وآمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وسمع الحديث وأكثر بنفسه فى طلبه، وكتب ونظر فى الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره، برع فى تفسير القرآن وغاص فى دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر إلى مواقع الاشكال ميال واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع فى الحديث وحفظه، فقل من يحفظ ما يحفظه مس الحديث معزوا إلى أصوله مع شدة استحضار له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس فى معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث أنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده، واتقن العربية أصولا وفروعاً وتعليلا واختلافاً، ونظر فى العقليات وعرف أقوال المتكلمين، ورد عليهم ونبه على خطاهم وحذر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وابره براهين، وأوذى فى ذات الله من المخالفين، واخيف فى نصر السنة المحضه حتى أعلى الله مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعدائه

وهدى به رجالا من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته، ويضيء به الشام بل الاسلام بعد أن كاد يتثلم بتشبيته الأمر لما أقبل حرب «التتر» والبغى فى خيلائهم، وظنت بالله الظنون وزلزل المؤمنون واشرأب النفاق وأبدى صفحته ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلى، فلو حلفت بين الركن والمقام وبالطلاق ألف طلقة أنى ما رأيت بعينى مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه ما حنثت، وقد قرأت بخط الشيخ العلامة شيخنا كمال الدين بن الزملكانى ما كتبه سنة بضع وسبعين تحت اسم «ابن تيمية»، كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا فى مذاهبهم منه أشياء، ولا يعرف أنه ناظر أحداً، فانقطع معه ولا تكلم فى علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

قال بن رجب، قلت وقد عرض عليه قضاء القضاة ومشيخة الشيوخ فلم يقبل شيئاً من ذلك، اثنى عليه ابن سيد الناس ثناء بالغاً حسناً، وكتب الذهبى فى تاريخه الكبير ترجمة مطولة له، قال فيها: لا يبلغ أحد فى العصر رتبته ولا يقاربه، وهو عجب فى استحضاره واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى فى عزوه إلى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث».

قال فلقد كان عجباً فى معرفة علم الحديث، ولقد كتب «الحموية» فى قعدة واحدة وهى أزيد من ذلك، وله يد طولى فى الكلام على المعارف والأحوال والتمييز بين صحيح ذلك وسقيمه ومعوجه وقويمه. وقد ترجم له ابن الزملكانى ترجمة عظيمة، واثنى عليه ثناء عظيما. ومدحه أبو حيان الأندلسى نظماً حسناً. وقال له ابن دقيق العيد عند اجتماعه به وسماعه لكلامه: ما كنت أظن أن الله فيما بقى يخلق مثلك.

قال ابن رجب ومما وجد فى كتاب كتبه العلامة أبو الحسن السبكى إلى الحافظ

الذهبي فى أمره، أما قول سيدى فى الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره وزخارة بحره وتوسعه فى العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه فى كل من ذلك المبلغ الذى يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره فى نفسه أكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله فى هذا الزمان بل من أزمان، انتهى.

قلت: وأبو الحسن السبكى ـ هو السبكى الكبير ـ كما صرح بذلك ابن مفلح فى طبقاته، وقد قال بعض السفهاء إن علمه كان زائداً على عقله ـ يشير بذلك إلى قلة فهمه، كأنَّ القائل بهذا القول لم يقف على ما اثنى به عليه جمع جم من الأئمة الكبار بالذكاء وقوة الدرك وبلوغه فى المعقولات مبلغا عظيماً والزهد، فأين هذا يقع من ذاك، ولكن من أعمى الله بصر بصيرته فهو يرى الشمس مظلمة. هذا السبكى عدوه، ولراد عليه قد أقر له فى كتابه هذا بما أقر، ولنعم ما قيل.

وإذا أتتك مذمتى من ناقص ٭ فهى الشهادة لى بأنى كامل

وكان الحافظ المزى يبالغ تعظيم الشيخ والثناء عليه حتى كان يقول: لم ير مثله منذ أربعمائة سنة، وقال ابن رجب بلغنى من طريق صحيح عن ابن الزملكانى أنه سئل عن الشيخ، فقال: لم نر من خمسمائة سنة أو أربعمائة سنة ـ الشك من الناقل ـ وغالب ظنه أنه قال من خمسمائة سنة، «أحفظ منه». وكذلك المشائخ العارفون كالقدوة محمد بن قوام، ويحكى أنه كان يقول: ما اسلمت معارفنا إلا على يد «ابن تيمية»، والشيخ عماد الدين الواسطى كان يعظمه جداً وبتلمذ له مع أنه كان أسن منه، وكان يقول: قد شارف مقام الأئمة الكبار ويناسب قيامه فى بعض الأمور مقام الصديقين.

وكتب رسالة إلى خواص أصحاب الشيخ ويوصيهم بتعظيمه واحترامه؛ ويعرفهم حقوقه؛ ويذكر فيها أنه طاف أعيان بلاد الاسلام ولم ير فيها مثل الشيخ عملا وعلماً،

وحالا وخلقاً واتباعاً وكرما وحلماً فى حق نفسه، وقياماً فى حق الله عند انتهاك حرماته، وأقسم على ذلك بالله ثلاث مرات، ثم قال أصدق الناس عقلا وأصحهم علماً وعزما وأنفذهم وأعلاهم فى انتصار الحق وقيامه؛ وأسخاهم كفا وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد ﷺ، ما رأينا فى عصرنا هذا من يستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل بحيث يشهد القلب الصحيح ـ أن هذا هو الاتباع حقيقة.

قال وطوائف من أئمة الحديث حفاظهم وفقهاؤهم كانوا يحبون الشيخ ويعظمونه، ولم يكونوا يحبون له التوغل مع أهل الكلام ولا الفلاسفة كما هو طريقة أئمة الحديث المتقدمين مثل الشافعى وأحمد وإسحاق وأبى عبيد ونحوهم، وكذلك كثير من الفقهاء وغيرهم كرهوا له التفرد ببعض شذوذ المسائل التى أنكرها السلف على من شذ بها.

أقول: وهذا الانكار منهم عليه انكار جاهل على عالم، والمرأ عدو لما جهل، والذى تفرد به شيخ الاسلام من بعض المسائل قد اثبته جماعة من أهل العلم بالأدلة الصحيحة المحكمة الثابتة، وذبوا جنابه الرفيع عن تلك الايرادات، ولهذا قال الذهبي غالب حطه على الفضلاء والمتزهدة حق، وفى بعضه هو مجتهد، ولا يكفر أحد إلا بعد قيام الحجة عليه، قال ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية؛ واحتج ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه، وبدعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يداهن بحال ولا يحابى، بل يقول الحق المر الذى أداه إليه اجتهاده وحدة ذهنه وقوة عقله وفهمه وسعة دائرته فى السنن والأقوال مع ما اشتهر عنه من الورع وكمال الفكرة وسرعة الادراك والخوف من الله والتعظيم لحرمات الله، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله، فإنه دائم الابتهال كثير الاستعانة قوى التوكل ثابت الجاش، وله من الشطر الآخر محبون من العلماء والصلحاء ومن الجند والأمراء ومن التجار

والكبراء وسائر العامة تحبه، لأنه منتصف لنفعهم ليلا ونهاراً بلسانه وقلمه.

وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال وببعضها يتشبه الأكابر الأبطال، فلقد أقامه الله فى نوبة غازان، والتقى اعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين، وكان «شقحب» يتعجب من اقدامه وجرأته على المغول، وله حدة قوية تعتريه فى البحث حتى كانه «ليث حرب»، وهو أكبر من أن ينبه مثلى على نعوته.

وله نظم قليل وسط، ولم يتزوج، ولا تسرى، ولا له من المعلوم إلا شئ قليل، وأخوه يقوم بمصالحه، ولا يطالب منهم غداء ولا عشاء فى غالب الوقت، وما رأيت فى العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم لا يذكره - ولا أظنه يدور فى ذهنه، وفيه مروة وقيام مع أصحابه وسعى فى مصالحهم، وهو فقير لا مال له، وملبوسه كآحاد الفقهاء، ولم يخن لأحد قط، وإنما يسلم، ويصافح، ويتبسم.

وأما محنه فكثيرة، وشرحها يطول جداً، منها: أنه امتحن - فى سنة ٧٠٥ - بالسؤال عن معتقده - بأمر السلطان - فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، واحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرأوها فى ثلاث مجالس، وحاققوه وبحثوا معه؛ ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه عقيدة سنية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعاً ومنهم من قاله كرهاً، وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: أنما قصدنا براءة ساحة الشيخ - وتبين لنا أنه على عقيدة السلف.

وفى آخر الأمر دبروا عليه الحيلة فى مسئلة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين، وألزموه من ذلك بالتنقص بالأنبياء وذلك كفر، وافتى بذلك طائفة من أهل الأهواء - وهم ثمانية عشر نفساً - رأسهم القاضى الاخنائى المالكى، «وحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهر» وبها مات - رحمه الله تعالى. ووافقه جماعة من علماء بغداد، وكذلك أبناء أبى الوليد - شيخ المالكية بدمشق - أفتيا: أنه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلا، وأنه نقل خلاف العلماء فى المسئلة ورجح أحد القولين،

قال الحافظ ابن القيم: سمعت «ابن تيمية» - قدس الله روحه ونور ضريحه - يقول فى الحبس، «إن فى الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة» قال، وقال لى مرة: ما يصنع أعدائى بى، أنا جنتى فى قلبى، وبستانى فى صدرى، أين رحت فهى معى - لا تفارقنى، أنا حبسى خلوة، وقتلى شهادة، وإخراجى من بلدى سياحة.

وكان فى حبسه يقول: لو بذلت ملأ هذه القلعة ذهباً ما عدل عندى شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لى من الخير - ونحو هذا.

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والماسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها - نظر إليه، وقال: «فضرب بينهم بسور، له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» انتهى حاصله.

قال ابن رجب: وأما تصانيفه فهى أشهر من أن تذكر وأعرف من أن تنكر، سارت مسير الشمس فى الأقطار وامتلات بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة فلا يمكن أحد حصرها ولا يتسع هذا المكان بعد المعروف منها ولا ذكرها، ثم ذكر نبذة من اسماء أعيان مصنفاته الكبار، ثم ذكر طرفاً من مفرداته وغرائبه، منها: أنه اختار ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كالورد ونحوه.

واختار جواز المسح على النعلين والقدمين، وكلما يحتاج فى نزعه من الرجل إلى معالجته باليد أو بالرجل الأخرى - فإنه يجوز عنده المسح عليه مع القدمين.

واختار أن المسح على الخفين لا يتوقت مع الحاجة كالمسافرة على البريد ونحوه، وفعل ذلك فى ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد، ويتوقت مع امكان النزع وتيسره، واختار جواز المسح على اللفائف ونحوها، واختار جواز التيمم لخشية فوات الوقت فى حق غير المعذور، كمن أخر الصلوة عمداً حتى تضايق وقتها، وكمن خشى فوات الجمعة والعيدين وهو محدث، فاما من استيقظ أو ذكر فى آخر وقت الصلوة، فإنه يتطهر بالماء ويصلى - لأن الوقت متسع فى حقه، واختار أن المرأة إذا لم يمكنها

الاغتسال فى البيت وشق عليها النزول إلى الحمام وتكرره فإنها تتيمم وتصلى. واختار أن لا حد لأقل الحيض ولا لأكثره، ولا لأقل الطهر بين الحيضتين ولا لسن إلا يأس من الحيض، وأن ذلك يرجع إلى ما تعرفه كل امرأة من نفسها.

واختار أن تارك الصلوة عمداً لا يجب عليه القضاء، ولا يشرع له بل يكثر من النوافل، وأن القصر يجوز فى قصير السفر وطويله، وأن سجود التلاوة لا يشترط له الطهارة.

قلت: وهذه المسائل غالبها مبرهنة فى مواضعها بالادلة الصحيحة الدالة عليها، وقد ذهب إليها ذاهبون من أهل العلم قديماً وحديثاً.

ثم ذكر ابن رجب وفاته - رح - وقال: مرض الشيخ فى القلعة بضعة وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ولم يفجأهم إلا موته، وكانت وفاته فى سحر ليلة الاثنين عشرين ذى القعدة سنة ٧٢٨، ذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع - وتكلم به الحرث على الابرجة فتسامع الناس بذالك، وبعضهم أعلم به فى منامه، وأصبح الناس واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئاً، ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين التى من شانها أن تفتح أول النهار، وفتح باب القلعة واجتمع خلق كثير من أصحابه يبكون ويثنون، وأخبر أخوه أنه منذ دخل القلعة ختم ثمانين ختمة، وانتهى إلى قوله «إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر».

صلى عليه الزاهد القدوة محمد بن تمام، وأخرج إلى جامع دمشق، وكان الجمع أجمع من جمع الجمع، ثم ساروا به والناس فى بكاء وثناء وتهليل وتأسف، والنساء فوق الأسطحة، وكان يوما مشهودا لم يعهد بدمشق مثله، ولم يتخلف من أهل البلد وحواضره إلا الضعفاء والمخدرات، وصرخ صارخ: هكذا يكون جنائز أهل السنة، فبكى الناس بكاء كثيراً عند ذلك، واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم، وصار النعش على الرؤس يتقدم تارة ويتأخر أخرى، وخرج الناس من أبواب المدينة كلها، ودفن وقت العصر، وحزر الرجال بستين ألفا إلى مائة ألف وأكثر، والنساء

بخمسة عشر ألفاً. ظهر بذلك قول الإمام أحمد: «بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز»، وختم له ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة، وتردد الناس إلى زيارة قبره أياما كثيرة ليلا ونهاراً. ورؤيت له منامات كثيرة صالحة، ورثاه خلق من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى وأقطار متباعدة، وتأسف المسلمون لفقده، وصلى عليه صلوة الغائب فى غالب بلاد الاسلام ـ القريبة والبعيدة ـ حتى فى اليمن والصين، وأخبر المسافرون أنه نودى بأقصى الصين للصلوة عليه يوم الجمعة: الصلوة على ترجمان القرآن!.

قال ابن رجب: وقد أفرد الحافظ محمد بن عبد الهادى له ترجمة فى مجلدة، وكذلك أبو حفص عمر بن على البغدادى البزار فى كراريس، وإنما ذكرنا ههنا على وجه الاختصار، وقد حدث الشيخ كثيراً، وسمع منه خلق من الحفاظ والأئمة من الحديث، وخرج له ابن الوانى أربعين حديثاً حدث بها، انتهى. قلت وقد اختصرت هذه الترجمة من الترجمة المختصرة التى ذكرها ابن رجب مع زيادة بعض ألفاظ عليها، فإن شئت أن تطالع على جملتها فعليك بالمجلدات الكبار، والتراجم الحوافل التى كتبها الأئمة الكبار مستقلة مفردة، والله يختص برحمته من يشاء ويدخل من يشاء فى رحمته.

قال فى الروضة الغناء: ولد سنة ٦٦١، وافتى ودرس، وصنف التصانيف البديعة الكثيرة، وجرت له محن كثيرة إلى أن توفى ودفن بمقبرة الصوفية، انتهى.

وقال المعلم بطرس البستانى، فى دائرة المعارف: وكان رحمه الله سيفاً مسلولا على المخالفين، وشجى فى حلوق أهل الأهواء والمبتدعين، طنت بذكره الأمصار وضنت بمثله الأعصار، وله تصانيف ومؤلفات وقواعد وفتاوى وأجوبة ورسائل وتعاليق كثيرة، انتهى. وذكر منها نبذة، ثم قال: فلما رأى أهل بلاده ما كان له من الشهرة ورفعة الشان دب فى قلوبهم الحسد، وأكب أهل النظر منهم بما ينتقد عليه من أمور المعتقد، فحفظوا عليه فى ذلك كلاماً قد أوسعوا لثلبه ملاماً وفوقوا لتبديعه سهاماً، وزعموا أنه خالف طريقهم وفرق فريقهم، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه، ثم نازعه

طائفة أخرى ينتسبون من الفقراء إلى طريقة ويزعمون أنهم على طريق ادق باطناً منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق وذكر لها مراغم موابق، فآضت على الطائفة الاولى من منازعيه واستعانت بذوى الضعف عليه من مقاتليه، فوصلوا إلى الأمراء أمره، وأعمل كل منهم فى كفره فكره، فرتبوا الحاضر والبوا الرويبضة للسعى بها بين الأكابر، قال: فرد الله كيد كل فى نحره ونجاه، والله غالب على أمره، انتهى حاصله.

٤٦٧ - محمد بن أبى بكر المراغى القاهرى المدنى، ولد فى أواخر سنة ٧٧٥. وأخذ عن البلقينى وابن الملقن والزين العراقى والهيثمى، ودخل اليمن مرات كثيرة.

وسمع على المجد الشيرازى، وتفقه على الدميرى. قال فى البدر الطالع: أجاز له أكابر من محلات مختلفة، واتقن جملة من الحديث وغريب الرواية، واختصر فتح البارى لابن حجر، وسماه تلخيص أبى الفتح لمقاصد الفتح، ودرس بمكة والمدينة، وحدث بالأمهات وغيرها حتى مات - بمكة - سنة ٨٥٩، انتهى - رحمه الله تعالى.

٤٦٨ - محمد بن أبى بكر الهمدانى المعروف «بالسكاكينى». ولد سنة ٦٣٥، قال فى البدر الطالع: طلب الحديث وتأدب وقعد فى صناعة السكاكين عند شيخ رافضى، فأفسد عقيدته، وأقام بالمدينة النبوية عند أميرها ولم يحفظ عنه سب الصحابة، بل له نظم فى فضائلهم إلا أنه كان كما قال ابن حجر: يناظر على القدر وينكر الجبر.

قال ابن تيمية: هو ممن يتسنن به الشيعى، ويتشيع به السنى.

ويقال إنه رجع فى آخر عمره، ونسخ صحيح البخارى، مات فى سنة ٨٢١.

٤٦٩ - السيد محمد بن الحسن بن عبد الله الظفرى الصنعانى، ولد فى سنة ١١٧٦. قال فى البدر الطالع: برع فى العلوم الآلية وشارك فى غيرها.

وله فهم جيد، وإدراك قوى، وسمت حسن، وعقل رصين، وهو ممن يعمل باجتهاده ويتقيد بنصوص الأدلة - ولا يعول على غير ذلك، انتهى.